ظاهرة التسول في المجتمع اليمني

(العوامل المسببة والوقاية منها)

إعداد/

د. يحيى علي علي الخولاني

أستاذ علم الاجتماع المساعد

عميد/ كلية اللغات والعلوم الانسانية

جامعة المستقبل

2020م

ملخص البحث

أصبحت ظاهرة التفكك الأسري في العديد من المجتمعات – ومنها المجتمع اليمني – من الظواهر التي تؤرق المجتمع، لما يترتب عنها من ارتفاع معدلات الجريمة وانحراف الأحداث والطلاق والبطالة والتسول.

وما يهمنا هنا هي ظاهرة التسول التي أصبحت مشكلة شديدة التعقيد، ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي أصبحت تشكل خطورة على المجتمع والدولة، وتحتاج إلى الوقوف بجدية لإيجاد الحلول المناسبة للحد من انتشارها.

وقد هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على ظروف الأطفال المتسولين في المجتمع اليمني والتعرف على العوامل المؤدية إلى تسولهم، والمساهمة في وضع الحلول لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة.

وقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة مطالب، تم تخصيص المطلب الأول لبيان مفهوم التفكك الأسري والمفاهيم المرتبطة به، وفي المطلب الثاني العوامل المؤدية إلى ظاهرة التسول، أما المطلب الثالث فسنتناول فيه أساليب الحد من ظاهرة التسول.

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لبيان هذه الظاهرة ومدى خطورتها وتحليلها، وذلك من خلال المراجع المتخصصة، واختتمت هذا البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات.

Abstract

The phenomenon of family disintegration in many societies - including Yemeni society - has become one of the phenomena that haunt society, due to the high crime rates, juvenile delinquency, divorce, unemployment and begging.

What is important here is the phenomenon of begging, which has become a very complicated problem, and among the negative social phenomena that have become a danger to society and the state, and need to stand seriously to find appropriate solutions to limit its spread.

The study aimed to shed light on the conditions of begging children in Yemeni society and to identify the factors that lead to their begging, and to contribute to clarifying solutions to address this serious phenomenon.

This research included three demands, the first requirement was devoted to clarify the concept of family disintegration and related concepts, and in the second demand for the factors leading to the phenomenon of begging, while the third demand we will address methods of limiting the phenomenon of begging.

In writing this research, I relied on the descriptive analytical approach to demonstrate this phenomenon and its seriousness and analysis, through specialized references, and concluded this research with a set of results and recommendations.

مقدمة:

تعاني الكثير من المجتمعات من بعض الظواهر السلبية المختلفة؛ كالتفكك الأسري وارتفاع معدلات الجريمة وانحراف الأحداث والطلاق والبطالة والتسول، وكما هو معروف فإن كثيراً من الظواهر تظل بسيطةً وكامنةً، أما إذا انتشرت وتطورت فإنها تشكل خطورة على المجتمع، وتهدد أمنه واستقراره؛ ومن تلك الظواهر، ظاهرة التسول؛ التي أصبحت من الظواهر الاجتماعية السلبية المنتشرة في كثير من المجتمعات؛ والمجتمع اليمني أحد هذه المجتمعات مع وجود فوارق في مدى انتشارها وحدتها من مجتمع لآخر.

وظاهرة التسول – خاصةً عند الأطفال – تمثل تحدياً كبيراً لكل المهتمين بها من اجتماعيين ونفسيين وتربويين وقانونيين، على الرغم من اختلاف منطلقات هؤلاء الباحثين العلمية، وما يجمعهم هو المحاولة لدراسة هذه الظاهرة بكل أبعادها وأسبابها، من أجل وضع الحلول الملائمة لها.

وما يلاحظ على هذه الظاهرة الإقبال الكبير عليها، ويعود ذلك لأسباب كثيرة؛ منها: إن المتسولين أصبحوا متمثلين لطريقة حياتهم ومتكيفين مع الدور الذي يلعبونه في المجتمع والذي يساعد على تشكيل اتجاهاتهم نحو الناس وطريقة الحياة ونوع النشاط المرغوب، بحيث لم يُعد من السهل تغيير اتجاهاتهم، كما أنهم ينقلون أنماط حياتهم لبعضهم البعض ولأبنائهم، وهنا تكمن الخطورة، إذ أن عمليات التفاعل الاجتماعي تؤدي إلى تزايد أعداد المتسولين؛ خاصةً الأطفال الذين يتم تنشئتهم في بيئة شديدة التعقيد والخطورة، تسوق هؤلاء الأطفال إلى التسول والجريمة.

لذلك، فإن على المجتمع بكل مؤسساته – الرسمية وغير الرسمية – أن يقف بجدية لمواجهة هذه الظاهرة بالدراسات الميدانية، لإيجاد الحلول المناسبة التي تساعد على الحد من انتشارها، وإعادة تأهيل هؤلاء الأطفال حتى يتخلصوا من تلك الأنماط السلوكية التي تعودوا عليها.

مشكلة البحث:

مشكلة التسول ظاهرة اجتماعية عالمية عانت منها المجتمعات القديمة والحديثة[1]؛ ومنها بلادنا، وانتشرت وتطورت مؤخراً في بلادنا بشكل كبير وازداد عدد المتسولين من مختلف الأعمار لا سيما لدى الأطفال والنساء.

وتبرز مشكلة البحث في أن ظاهرة تسول الأطفال لا تحظى بالاهتمام الكافي من الجهات الرسمية والرأي العام، وإنما يتم الاهتمام بها بشكل موسمي.

([1]) محمد كامل البطريق، محمد نجيب توفيق: مجالات الرعاية الاجتماعية وتنظيماتها، القاهرة، ط1، 1970م، ص19.

كما تظهر مشكلة البحث – أيضاً – في قلة الدراسات لحالات الأطفال المتسولين، والعوامل التي تؤدي إلى التسول؛ ابتداءً من الأسرة وما يحدث داخلها من أسباب تؤدي إلى التسول؛ سواءً بموت أحد الوالدين أو الطلاق أو حدوث حالات النزاع والشجار الدائم والمستمر بين الوالدين بسبب ضيق المسكن أو حدوث حالات التسول بسبب الفقر أو غيره.

إن العقاب الشديد والقاسي الذي يقوم به الآباء والأمهات يوثر سلباً على جوانب التوافق لدى الأبناء، كما أن سوء التوافق لدى الأطفال يرجع إلى أساليب الآباء والأمهات غير التربوية؛ كالإهمال والسخرية واستخدام العقاب وشجار الوالدين أمام الأطفال، ووصف الأطفال بصفات سيئة[1].

وتثير مشكلة البحث التساؤلات الآتية:

1. هل غياب أحد الوالدين أو كلاهما أو وفاة أحد الوالدين أو كلاهما أو مرض أحد الوالدين أو كلاهما أو الطلاق يؤدي إلى عدم استقرار الأسرة، وإحساس الأبناء بعدم الأمان، وبالتالي تحولهم إلى التسول؟
2. هل سوء معاملة الوالدين والظروف الأسرية غير المستقرة وضعف القيم الدينية والأخلاقية يسبب للأبناء صراعاً نفسياً يدفعهم إلى التسول؟
3. هل هروب الطفل من المنزل أو المدرسة يؤدي إلى تعرفه على رفقاء السوء ومنه إلى التشرد والضياع والتسول؟
4. هل الفقر والبطالة يدفع الأبناء إلى التسول؟
5. هل الأمية التي يعاني منها الأب أو الأم تؤثر تدفع الأبناء إلى التسول؟
6. هل عدم مراقبة الأبناء وتوجيه سلوكهم يؤدي إلى حالات التسول؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على ظاهرة من أهم الظواهر الاجتماعية؛ هي: "ظاهرة التسول في المجتمع اليمني"، نظراً لخطورة هذه الظاهرة وسرعة انتشارها في المجتمع اليمني؛ خاصةً عند الأطفال، وكذا إبراز أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تقف وراء نشأتها. كما تظهر أهمية هذا البحث في النتائج التي توصل إليها الباحث والحلول المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الأتية:

1. بيان مفهوم ظاهرة التسول، خاصةً عند الأطفال المتسولين.
2. معرفة الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة.

([1]) عبد الوهاب محمد كامل: بحوث في علم النفس، دراسات ميدانية تجريبية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص110.

3. توضيح أثر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية في انتشار ظاهرة تسول الأطفال.

المنهج المستخدم في كتابة البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة حقائق الوضعية الراهنة المتعلقة بطبيعة الظاهرة الاجتماعية، باعتباره طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية.

خطة البحث:

قسّمنا هذا البحث إلى ثلاثة مطالب؛ نتناول في المطلب الأول منه بيان ماهية ظاهرة التسول، ونبيّن في المطلب الثاني العوامل المؤدية للتسول، وسنخصص المطلب الثالث للحديث عن الآثار المترتبة على ظاهرة التسول، ونختتم البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات.

المطلب الأول

مفهوم التفكك الأسري والمفاهيم المرتبطة به

للأسرة أهمية بالغة في الإسلام، وقد وضع لها المبادئ والقواعد التي تكفل لأفرادها حياة فاضلة، تقوم على معاني المودة والرحمة والسلام، قال الله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[1]. صدق الله العظيم.

وبما أن التفكك الأسري من العوامل المؤدية للتسول، فإننا سنبين مفهوم التفكك الأسري والمفاهيم المؤدية إلى التسول، ومن ثم نبين المقصود بالتسول، على النحو الآتي:

أولاً: تعريف التفكك الأسري لغة واصطلاحاً:

لم يتفق علماء النفس وعلماء الاجتماع على تحديد مفهوم التفكك الأسري، ولم يتفقوا أيضاً حول تسمية المفهوم ذاته، فهناك من يستخدم مفهوم التفكك الأسري على إنه فقدان أحد الوالدين أو كليهما أو الطلاق أو تعدد الزوجات أو الهجر أو غياب أحد الوالدين مدة طويلة، وآخرون يستخدمون مفهوم البيوت المحطمة، أي البيوت التي يحطمها الطلاق أو موت أحد الوالدين أو الهجر أو كليهما، وهناك فريق آخر يستخدم مفهوم التصدع الأسرى الناشئ جراء تعدد الزوجات أو الطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو كليهما.

تعريفه لغةً: (تفكك) انفك، ويقال تفككت شخصية فلان من الناس، أو ضعفت، وفلان يتفكك في مشيه وكلامه، أي يضطرب فيهما، فالتفكك في اللغة معناه الضعف والاضطراب.

تعريفه اصطلاحاً: عرفه البعض بأنه: "أزمات ومشاكل تستولي على الأسرة فتؤدي إلى تمزقها، وتجعل أفراد الأسرة يعيشون منفصلين"[2].

ويُشير البعض، إلى أن التفكك البنائي الناتج عن سفر الأزواج ومن ابتعادهم عن زوجاتهم وأبنائهم يعرض الأبناء إلى الانحرافات نظراً لعدم قدرة الأم على السيطرة، كما يؤدي إلى شعور الزوجة بأنها وحيدة ليس لديها من يشاركها المسئولية، ويجد ضعفاء النفوس في هذه الأجواء الفرصة سانحة لمحاولة تبرير الممارسات غير الأخلاقية[3].

([1]) سورة الروم، الآيات (20، 21).

([2]) سناء الخولي: التفكك الأسري والمجتمع، منتدى عالم الأسرة، القاهرة، (د.ت)، ص98.

([3]) سامية خضر: مجلة العالمية، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد 175، عام 2004م، ص42.

وإذا لم يقم الوالدين بمسؤوليتهما تجاه أبنائهما، فمن الذي سيقوم بهذه المسؤولية، ومن الذي سيوجههم ويتابعهم وينصحهم باستمرار، ويستمع لمشاكلهم وهمومهم وآلامهم، لأن للأسرة أهمية بالغة والإسلام وضع المبادئ والقواعد التي تكفل لأفرادها حياة فاضلة تقوم على معاني المودة والرحمة والسلام، مصداقاً لقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" صدق الله العظيم[1].

ومن أهم الأمور التي تقي الأولاد من الوقوع في مختلف المشكلات هو تربيتهم تربية إيمانية قوية منذ الصغر، ليكون لهم شخصية سوية وقوية ومستقيمة قادرة على مواجهة كافة المشكلات بروح المؤمن القوي المتوكل على الله، وكذلك الاهتمام بوضع سياسة للتوعية الأسرية بتغيير مفاهيم الآباء والأمهات والأسرة بشكل عام حول أسس الاختيار للزوجين، والاتجاه نحو تدعيم الزواج المتكافئ، كما أن الأسرة تعتبر هي النواة الأولى في علاقة الفرد بالحياة الاجتماعية وخط الدفاع الأول ضد الانحراف، وبالتالي تقع على كاهل الأسرة مسئولية عظيمة في ضبط سلوك الفرد وتوجيه[2].

والمفهوم الذي أراه للتفكك الأسري هو: "عدم قيام الأبوين بواجبتهم الأسرية، مما يؤدي إلى ضعف العلاقات والروابط الأسرية وحدوث التوترات بين أفرادها، ويؤدي في أكثر الأحيان إلى تفكك الأسرة".

ومن هنا نرى أن التفكك الأسري يشير إلى الأسرة التي تعاني من وجود مشكلات عائلية واقتصادية، وعدم توفر الجو الصالح في محيط الأسرة الواحدة لتربية وتقويم سلوك الأبناء، وعدم معالجة هذه الظاهرة أدى إلى تفاقمها في المجتمع وأصبحت مأساة حقيقية

ثانياً: مفهوم الانحراف الاجتماعي:

عرف البعض الانحراف الاجتماعي بأنه: "الفعل الذي يضر بمصلحة الجماعة أو المجتمع ويهدد كيانه، وهو سلوك انحرافي، بمعنى عدم التزام من يقوم به بالقيم والمعايير في المجتمع والتي تقيمها الجماعة أو تحرص أو تحافظ عليها، أي أن الانحراف يتضمن أنماطا من السلوك المضاد للمجتمع ويؤدي إلى الإضرار بالتنظيم الاجتماعي"[3].

ويرى علماء الاجتماع إن الانحراف ينشأ من البيئة دون أي تدخل في العمليات النفسية المعقدة التي تلعب دورها على مسرح اللاشعور، وهم بذلك يصفون الأطفال المنحرفين على أنهم ضحايا ظروف خاصة أتسمت بعدم الاطمئنان والاضطراب الاجتماعي، لأسباب متعلقة بالانخفاض الكبير لمستوى المعيشة أو هم ضحايا مزيج من هذا أو ذاك"[4].

([1]) سورة الروم: (آية من 20 – 21).

([2]) عليا شكري: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص247.

([3]) أحمد مصفى خاطر، الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د.ت)، ص298.

([4]) منير العصرة: انحراف الأحداث ومشكلة العوامل، المكتبة المصرية الحديثة، الإسكندرية، 1974م، ص31.

وبدوري أرى أن التعريف الإجرائي للانحراف الاجتماعي يظهر في السلوكيات غير السوية، التي لا تتمثل بالمعايير والقيم التي يعتنقها أغلبية أعضاء الجماعة أو المجتمع.

ثالثاً: مفهوم الأسرة:

هناك العديد من التعريفات لمفهوم الأسرة لدى علماء النفس والاجتماع، فقد عرفها البعض بأنها: "النظام الإنساني الأول ومن وظائفها الأساسية استمرار النوع والمحافظة عليه، ومن ناحية أخرى تضرب النظم الاجتماعية المختلفة بجذورها في حياة الأسرة"[1].

ويعرف ماردوك (meardok) الأسرة بأنها: "جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها علاقة جنسية يعترف بها الجميع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل، سواءً كان من نسلها أو عن طريق التبني"[2]. وهذا التعريف يوضح بأن الأسرة تقوم بوظائف متعددة، منها تعاون اقتصادي لسد احتياجات الأسرة، وتقوم بوظيفة التناسل والتكاثر، وأن تكون العلاقة بين الزوجين معترف بها من المجتمع.

ولا شك أن الأسرة هي العامل الأساسي في بناء الكيان التربوي، وإيجاد عملية التطبيع الاجتماعي، وتشكيل شخصية الطفل واكتساب سلوكياته التي تبقى ملازمة له طوال حياته، فهي البِذرة الأولى في تكوين الفرد وبناء شخصيته، والطفل في أغلب أحواله مقلد لأبويه وسلوكهما، ولهما تأثير ذاتي في التكوين النفسي وتقويم سلوك الطفل وبعث الحياة في نفسه، فمن الأسرة يتعلم الطفل اللغة ويكتسب بعض القيم والاتجاهات، وقد ساهمت الأسرة في بناء الحضارات الإنسانية، وإقامة العلاقات التعاونية بين الناس، ولها يرجع الفضل في تعليم الإنسان أصول الاجتماع وقواعد الآداب والأخلاق[3].

وتأسيساً على ما سبق، فإن التعريف الإجرائي الذي أراه للأسرة هو: "جماعة اجتماعية تتكون من الزوج والزوجة والأولاد، يقومون بوظائف محددة، ويؤدون أدوارهم وفقاً لقيم المجتمع، ويلتزمون بما عليهم من واجبات نحو المجتمع".

رابعاً: مفهوم التنشئة الاجتماعية:

عرفها البعض بأنها: "صيرورة مستمرة ومتغيرة على امتداد الحياة، بحيث أنها تهدف إلى الاندماج الاجتماعي النسبي، وباعتبارها من جهة أخرى، بمثابة وسيلة لاكتساب الشخصية، من خلال استيعاب طرائق الحركة والفعل اللازمة، من أجل تحقيق درجة من التوافق النسبي عبر سياق الحياة الشخصية والاجتماعية للفرد داخل تلك الحياة المتغيرة باستمرار"[4].

([1]) سعد مرسى أحمد، كوثر حسين كوجك: تربية الطفل قبل المدرسة، دار عالم الكتب، القاهرة، 1983م، ص36.

([2]) مصطفى دندشني: دور الأسرة الاجتماعي والتربوي، مجلة الباحث، بيروت، العدد 17، 1981م، ص115.

(3) عليا شكري: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص247.

([4]) مصطفى حديه: التنشئة الاجتماعية بالوسط الحضري، (د.ن)، المغرب، 2006م، ص124.

فالتنشئة الاجتماعية مستمرة ومتغيره، وتهدف إلى الاندماج الاجتماعي للفرد واكتساب الشخصية، من خلال استيعاب قيم وعادات وتقاليد المجتمع، والتنشئة الاجتماعية لها دور بالغ في عملية بناء المجتمع على الصعيد الاقتصادي والثقافي والسياسي والنفسي وسلامة المجتمع وقوة بنيانه وقوة تقدمه وازدهاره ، وهي عملية حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة من مراحل التنشئة لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها[1]. يقول الله تعالى: ((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا))[2] صدق الله العظيم.

وهذا الهدي القرآني الكريم يؤكد أن الإنسان ملزم بما يعمله، وهذا مبدأ تربوي هام في الحياة الدنيا، فعندما يقتنع المذنب بذنبه، فإنه يتقبل العقوبة وتؤثر فيه كوسيلة من وسائل التقويم والإصلاح والتهذيب، وإعادة التأهيل الأخلاقي للعودة إلى السلوك السوي والامتثال للقيم الصالحة، وإقرار التوبة النصوح، وعدم معاودة ارتكاب المعاصي[3].

وتأسيساً على ذلك، فإن التنشئة الاجتماعية تلعب دورا هاماً في تشكيل شخصية الإنسان منذ مرحلة الطفولة، وهي أهم مرحلة في حياة الإنسان، ومن هنا يجب الاهتمام بعملية التنشئة وقيامها على شروط محددة حتى ينشأ الطفل تنشئة اجتماعية سليمة، من خلال التفاعل المتبادل داخل الأسرة المكونة لشخصية الطفل، كما أن التوسط والاعتدال في معاملة الأطفال يؤدي إلى التمتع بالصحة النفسية والعقلية الجيدة وإلى حسن العلاقات الاجتماعية ومنها نصل إلى مجتمع سليم خالٍ من الانحراف والتصدع والانهيار .

لذلك أرى أن التنشئة الاجتماعية هي: العملية التربوية التي يهدف من ورائها الأب و الأم إلى جعل أبنائهم يكتسبون أساليب سلوكية ودوافع وقيم واتجاهات يرضى عنها المجتمع.

خامساً: مفهوم التسول:

عرف البعض التسول بأنه: "السلوك غير السوي والذي يتناقض مع نواميس وقوانين وعادات وأعراف وتقاليد المجتمع"[4].

وعرفه آخر بأنه: "ظاهرة ممقوتة في وجدان الضمير الجمعي وبؤرة ضعف في حياة المجتمعات"[5].

وبناءً على ما سبق، أرى أن التسول هو: استجداء عواطف الناس؛ سواءً كان بالعبارات الدينية أم بإبراز العاهات والعيوب الخلقية الحقيقية أو المصطنعة، من أجل الحصول على المال أو الطعام أو الشراب أو الملبس أو المأوى من العامة.

([1]) عبد الباسط محمد حسن: علم الاجتماع، الكتاب الأول، مكتبة غريب، القاهرة، ط2، 1982، ص397.

([2]) سورة الإسراء، الآيات (12، 13، 14).

([3]) عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، الأسرة ودورها في حل مشكلات الطفل ، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن ، ط1، ص8.

([4]) منير العصرة: انحراف الإحداث ومشكلة العوامل، مرجع سابق، ص5.

([5]) سمير الشميري: مشكلات اجتماعية من منظور سيسيولوجي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2009م، ص171.

المطلب الثاني

العوامل المؤدية إلى ظاهرة التسول

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، والطفل يتعلم ما يعيشه ويكتسب سلوكه وتصرفاته مما يشاهده عملياً في الحياة اليومية، ومما يلاحظه من تصرفات الذين حوله ويقلدهم ويقتدي بهم، والطفولة هي أيضاً الخطوة الأولى المؤدية إلى مرحلة المراهقة، وفي هذه المرحلة تصقل شخصية الإنسان، فإما أن تكون لبنه صالحة في بناء مجتمع سليم معافى، وإما أن تكون لبنة ضعيفة فاسدة.

وتعتبر ظاهرة التسول إحدى الظواهر الاجتماعية الأساسية التي لازمت المجتمعات طيلة حياتها وخلال التاريخ البشري على وجه الأرض، والمتتبع لكافة الحضارات يتأكد بنفسه كيفية الحياة الاجتماعية التي يرجع إليها الفرد، بالإضافة إلى الفروق الفردية بين الأفراد، بالإضافة إلى ظهور حب الامتلاك بين الجماعات التي ينتمون إليها، مما أدى ذلك إلى تعرض الكثير من النظم والقيم التقليدية للتفكك، وفقدت تأثيرها وفاعليتها في التنشئة الاجتماعية، فتبدلت قيم بقيم، وحل سلوك محل سلوك[1].

وقد عانى المتسولين في الماضي من سوء المعيشة، وهذا كان واضحاً في نظرية التقليد التي تعتبر أن: "التقليد هو أساس تعلم السلوك بوجه عام، وأن الفرد يقلد السلوك الإجرامي أو الانحرافي، وأن البيئة هي التي تعزز هذا النمط السلوكي إذا كانت فاسدة"[2].

والخطوة الأولى نحو فهم مشكلة أسباب التسول فهماً صحيحاً، تتحدد بالسبب في هذه المشكلة، وهذا تحديد له أهمية كبيرة، لأن من شأنه أن ينير الطريق للتمييز بين القوى الحقيقية الدافعة إلى تسول الأطفال وبين كثير من الظواهر الاجتماعية أو النفسية التي قد تصاحب حالة التسول[3].

وهنا **نستعرض العوامل التي أجمع الباحثون على أنها تؤدي إلى ظهور حالة التسول، وهي على النحو الآتي:**

أولاً: العوامل النفسية والعقلية: وتنقسم هذه العوامل إلى:

1. **العوامـل الذاتية:** يقصد بالعوامل الذاتية "مجموعة العناصر التي تشكل المقومات البيولوجية والنفسية للطفل، كما تنطوي على مفهوم المقومات البيولوجية وكل ما يتعلق بالتكوين الجسمي، من حيث الشكل الخارجي؛ كشكل الأعضاء ووظائفها والمظهر الخارجي للإنسان والعاهات أو التشوهات التي قد يكون مصاب بها، والطول أو القصر والنحافة والبدانة"[4].

([1]) محمود أحمد مرسي: دور نظام التعليم في تنشئة الطفل العربي، المستقبل العربي، القاهرة، 1987، ص143.

([2]) نبيل محمد صادق أحمد، ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث، مرجع سابق، ص297.

([3]) مريم إبراهيم حنا وآخرون: رعاية الفئات الخاصة من منظور الخدمة الاجتماعية، بل برنت للطباعة، القاهرة، ،1997، ص316.

([4]) السيد رمضان: إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث، القاهرة، د. ن، 1990، ص147 .

وهي أمور خاصة بالتكوين الجسمي للطفل، من حيث الشكل الخارجي والحالة الصحية والمقومات النفسية ومنها ميوله، وبالنسبة للعوامل العضوية فإنها تظهر في حالات مثل عاهات الحس والحركة والكساح وعيوب السمع والبصر والكلام واعتلال الصحة ونقص التغذية، وكلها عوامل مؤثرة في الدفع نحو التسول، إذ يحاول الطفل تعويض النقص بأساليب سلبية، ولا يمكن فصل العوامل النفسية عن العوامل الأخرى، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكافة العوامل؛ سواءً كانت جسمية أم عقلية أم بيئية، وإن :"مشاعر الأسى وعدم الارتياح والغضب والحزن كلها انفعالات نفسية وحتمية، ولكن التعبير عن هذه الانفعالات بصورة غير مناسبة يؤدي إلى المعاناة بطريقة حادة وغير مألوفة ويعتقد أنها غير سوية"[1].

كما أن المقومات النفسية المتعلقة بقدرات الطفل وصفاته وعاداته وميوله وانفعالاته والقلق النفسي الذي يؤدي إلى خلل في عمل الجهاز النفسي للطفل، كلها تتضمن العوامل الشخصية لكافة العناصر الأساسية التي تشكل شخصية الطفل، وبالرغم من أن الفصل بين العناصر الذاتية والعناصر البيئية التي تشكل الشخصية ليس بالأمر الهين، نتيجة لعملية التفاعل والانصهار الذي يحدث فيها، فإن تحديد العوامل الذاتية في التسول ليس إلا من قبيل التحليل العلمي للعوامل الجزئية التي تؤدي بتكاملها إلى ظهور الصورة التي تطبع حالة الطفل.

2. **العوامل البيولوجية:** تعتبر الصحة العقلية أساس الشخصية السوية، ومن المسَلم به لدى علماء النفس والأطباء العقليين أن الصحة العقلية هي الأساس للشخصية السوية، بمعنى أنه إذا اختلت الصحة العقلية، فإن ذلك يؤدي إلى اهتزاز في الشخصية، مما ينجم عنه إقدام المريض على ارتكاب السلوك المنحرف، ويمكن بوجه عام اعتبار الظروف العائلية الملائمة والتكيف مع الوسط الاجتماعي وسلامة التنشئة والتطبيع الاجتماعي والقدرة على إشباع الحاجات ومواجهة التوقعات هي المصادر الرئيسية للصحة العقلية[2].

ويعتقد بعض الباحثين أن السلوك المنحرف يمكن أن يفسر دائماً بالنقص العقلي أو اختلال القوى العقلية، وتقوم هذه النظرية على أربعة أسس يسلم بها أصحاب هذا الاتجاه كحقائق علمية؛ هي[3]:

أ- إن المجرم أو المنحرف هو بالضرورة شخص مصاب في قواه العقلية.

ب- إن هذا النقص العقلي هو صفة وراثية تنتقل عبر الأجيال وفقاً لقانون مندل Mendel في الوراثة.

([1]) لنداد فيدوف: مدخل علم النفس، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د.ط، 1983م، ص659.

([2]) M. Lopez rye .crime . an analytical appraisal. London. 1970. Pp. 172- 175

([3]) Ad win h. Sutherland and Donald r .cress y. Principe's de criumonologie.Pairs.cujas. 1966.p. 130

ج- إن الشخص المصاب بضعف عقلي يمكن أن يقدم على ارتكاب الجرائم، والسبب في ذلك أن مثل هذا الشخص لا يملك الإدراك الكافي الذي يمكنه من فهم القانون أو المعايير السلوكية أو من تقدير نتيجة أفعاله.

د- إن وضع سياسة لتقييم ضعفاء العقول أو عزلهم هي الطريقة الوحيدة الفعالة لمقاومة الجريمة والمجرمين.

مما سبق، نجد أن المستوى العقلي للمنحرفين يمكن أن يكون عامل مهم، وينطوي عليه في أغلب الأحيان ضعف في القوى العقلية، وسلوك هؤلاء مهما كان شاذاً أو منحرفاً فانه يتناسب مع قدراتهم العقلية، وقد يرث الطفل بعض الصفات في الضعف العقلي وانخفاض مستوى الذكاء بشكل غير طبيعي، وقد تكون الحالة العقلية ترجع إلى الرضوض الشديدة التي تحدث في الرأس خلال فترة الطفولة الأولى[1].

ودراسة التاريخ المرضي يهدف أساساً إلى البحث عن أثر العوامل الوراثية من جهة، والتغيرات البيولوجية من جهة أخرى في شخصية الطفل، فالوراثة تؤثر إلى حد كبير في الناحية الجسمية، وهناك بعض أمثلة لعوامل شخصية ذات دلالة خاصة في تحديد العوامل المساعدة في انحراف الأطفال منها: التبول اللاإرادي، مص الأصابع وقضم الأظافر، وهناك أنواع من النقص الحسي؛ كضعف البصر أو السمع وإصابات الشم والتذوق، وكل هذه التأثيرات تميل بالشخصية نحو الانطواء وتعزل الطفل عن الحياة الاجتماعية، مما يجعله يحبذ العزلة والانطواء كحل لما يعانيه، وهي أعراض بالغة الأهمية تساعد في الربط بين العوامل الشخصية والبيئية المهيأة للانحراف، فالطفل يتجه إلى هذه العادة عندما تسوء العلاقات بينه وبين البيئة التي يعيش فيها، وإن هذا الأسلوب الذي يلجأ إلية الطفل في مواجهة مشكلاته ليست إلا أساليب سلبية تؤدي بالطفل إلى الانسحاب والعزلة والخجل أثناء مواجهة المشكلات[2].

وهناك العناصر السيكولوجية المكونة للعوامل الشخصية، والتي ترتبط بالمؤثرات الشعورية واللاشعورية، التي تؤدي إلى اختلال أو اهتزاز في الشخصية، مما يجعل صاحبها مهيأ للانحراف إذا ما أتحدت مع عناصر أخرى[3]. ومن بين العناصر السيكولوجية الآتي[4]:

أ- الصراع الذي يتعرض له الطفل نتيجة لنقص بعض عناصر العالم الخارجي في شخصيته أو في جسده.

ب- الحالات الانفعالية: "بما يصاحبها من تغير الشعور نحو شخص معين نتيجة للتعارض بين رغبات متعارضة وعدم الثبات والاستقرار في النواحي الانفعالية".

ج- وجود الحاجة القهرية للطموح والتفوق مما يولد في الحدث الخوف من الفشل.

---

(1) Http :armpit .montadarabi.com t7387-topic

(2) أحمد الزعبي، الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال، دار الحكمة اليمانية، اليمن ، ط1 1994م، ص 143.

(3) أحمد مصطفي خاطر، الخدمة الاجتماعية، مرجع سابق، ص338.

(ا) أحمد مصطفي خاطر، الخدمة الاجتماعية، مرجع سابق، ص339.

ثانياً: العوامل الاجتماعية:

البعض يطلق عليها عوامل البيئة الداخلية، وهي التي تتصل بحياة الحدث داخل المنزل وفي كنف أسرته، والتي ينشأ فيها الطفل، وتعتبر الأسرة هي: "الخلية الأولى المسئولة عما يصيب الطفل من انحراف، لأنه عن طريقها يتلقى القيم والعادات والنظرة إلى الحياة والمجتمع، وهي الصلة التي تربطه بالمجتمع الكبير فيما بعد"[1].

ومن المؤكد أن المنزل المتداعي اجتماعياً هو من العوامل الرئيسية التي تهيئ الحدث للانحراف، وليس معنى ذلك أن جميع المنازل المضطربة اجتماعياً تولد أحداثاً منحرفين، ولكنها في الغالب تكون تربة خصبة لنمو الانحراف واختلال الشخصية والاعوجاج وسوء الخلق، ولقد أوضحت الباحثة الاجتماعية مريام فان ووترز MeriaM van Waters ، ذلك بقولها: "إن المنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل، ويغذي طفولته بالطمأنينة، ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر، ويمكنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم لدرء مخاطر الأمراض، ويهيئ له الكيان الاجتماعي، ويدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة، كما يدربه على التجاوب مع المواقف الإنسانية التي تبرز العواطف الكبيرة؛ كالحب والغضب، ويغذي فيه فن الحياة في مجتمع صغير وهو الأسرة التي تكون فيها العلاقات الإنسانية بسيطة ورحيمة"[2].

والعوامل الاجتماعية هي التي تتصل بحياة الطفل داخل المنزل وفي كنف أسرته، لأن الأسرة هي الخلية الأولى المسئولة عما يصيب الطفل من انحراف، لأنه عن طريقها يتلقى القيم والعادات والنظرة إلى الحياة والمجتمع، وهي الصلة التي تربطه بالمجتمع الكبير، وإن تقصير المنزل في أداء تلك الوظائف كاملةً يعُد عاملاً من عوامل التسول، وسنتناول بعض هذه العوامل كما يأتي:

1. **العلاقة بين أعضاء الأسرة:** من الطبيعي أن تقوم علاقات ودية متوازية بين أعضاء الأسرة؛ كالعلاقات بين الأبوين، وبينهما وبين الأطفال، ويتحقق ذلك عندما تكون العلاقات والروابط الأسرية أخذت صفة الاستقرار النسبي لفترة من الزمن، وفي ظروف ومواقف مختلفة ومتعددة، ومن خلالها تمارس الأسرة وظائفها، ويتحرر الأفراد في الجماعة الأسرية نسبياً من التوترات، ويشكل الأفراد فيما بينهم وحدة وظيفية متكاملة، وتظهر صورة التوافق في العلاقات الأسرية إذا كانت العلاقة بين الأب والأم نحو الأبناء عن طريق أساليب متفق عليها بينهما، وإذا تحققت المساواة في الحقوق والواجبات والرعاية والحنان بين الأبناء جميعاً، وتبني كل من الأب والأم لأخلاقيات وقيم اجتماعية سليمة، أما إذا ظهرت صعوبات تعوق التفاهم بين الأبوين، فقد ينشأ صراع مؤقت

([1]) علي محمد جعفر: الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م، ص59.

([2]) Merriam van Watcas . (youth hn conflict) N . Y 1925. P 64

بينهما، وإذا اتخذ هذا الصراع صفة الاستمرار فقد يؤثر في وحدة وتماسك الأسرة، وكذلك يمكن أن تؤدي التغيرات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع الذي تعتبر الأسرة جزءً منه إلى تغيير في بناء الأسرة[1].

وفي الحياة الزوجية هناك عوامل قد تؤدي إلى عدم استقرار الحياة الأسرية، ومن جهة أخرى قد تؤثر هذه العوامل بطريقة سلبية، وينتج عنها الفشل واضطراب الحياة الزوجية، والتي قد تؤدي إلى مشاكل كثيرة؛ مثل الدعارة والإدمان على المخدرات والأمراض النفسية[2].

لذلك فإن للأسرة أثراً كبيراً في تكوين شخصية الطفل، وتوجيه سلوكه وتطوير أفكاره، فهي التي توقظ فيه القوى الكامنة، وتحرك فيه الغرائز الدفينة، وتنمي فيه المواهب المتعددة، والأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يحيا فيها الإنسان ويتأثر بها كثيراً؛ سواءً من حيث تكوينه الجسمي أم العقلي أم الوجداني أم الخلقي، أو من حيث اكتسابه العادات والتقاليد والأفكار والقيم والاتجاهات، فنمو الطفل يتأثر بظروف الأسرة وأجواء المنزل، وبمستوى المعيشة داخل الأسرة وانتشار الوعي الصحي والثقافي والاجتماعي بين أفرادها، فالطفل يتأثر بكل ما يجري من حوله، ولابد أن تتم تربيته وفقاً لأساليب تربوية تستميل الطفل بعيداً عن استخدام أساليب تقوم على المنع والإكراه أو استخدام القوة أو العنف[3].

إن تأثير الأسرة في تربية الأطفال كبير جداً، ويتجلى هذا التأثير في جميع جوانب حياة الطفل، فهي تؤثر في لغته، وفي سلوكه، وفي معاملاته، وكذا في ذوقه الفني وتقديره لجمال الطبيعة ورؤيته إلى الحياة، إلى جانب تأثيرها في صحته وفي تكيفه الاجتماعي. فالأسرة هي التي تقوم بتأمين الاستقرار النفسي لأفراد العائلة، ذلك أن وسط العائلة وما يسوده من حب واطمئنان يساعد كثيراً على تفريغ الشحنات العاطفية، ويزيل العديد من عوامل القلق والاضطراب التي قد تنتاب الأفراد عند مزاولتهم لبعض الأدوار[4].

ومما سبق: نجد أن العلاقة القوية والسليمة المبنية على الحب والتفاهم والاحترام بين الأبوين تعكس نفسها على تنشئة الأبناء التنشئة السليمة الصحيحة الخالية من الأمراض الاجتماعية، وتنعكس إيجاباً على المجتمع وتخلق أجيالاً تبني هذا المجتمع وتحافظ عليه.

2. الطلاق وأثره على الأطفال: المشكلة الاجتماعية لصيقة بالمجتمعات البشرية، ولا يمكن أن نتصور مجتمعات بدون مشاكل اجتماعية، ومشكلة الطلاق إحدى هذه المشكلات الاجتماعية النفسية، وهي ظاهرة عامة في جميع المجتمعات، وتزداد انتشاراً في

([1]) علي الدين السيد محمد: الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، مكتب الخدمة الاجتماعية، القاهرة، ط11، 1985م، ص153.

([2]) محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت). ص112.

([3]) عباس مكي، زهير حطاب: السلطة الأبوية والشباب، دراسة ميدانية اجتماعية نفسية حول طبيعة السلطة وتمثلها، الدراسات الإنسانية، علم اجتماع الأسرة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981، ص115.

([4]) محمد جنوح الأخرس: تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة السورية، منشورات الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م، ص1.

مجتمعاتنا الحديثة، ويترتب عليها آثاراً سلبيةً في تفكك الأسرة، كما أن لها اثأراً سلبيةً على الأطفال، ناهيك عن الآثار النفسية العديدة؛ بدءً من الاضطرابات النفسية إلى السلوك المنحرف والجريمة وغير ذلك"[1].

إن تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة وتكوين الأسرة منذ أقدم العصور نجده في كل الشرائع السماوية والقوانين التي سعت لتنظيم هذه العلاقة وضمان وجودها واستمرارها، ويهتم رجال الدين ورجال الفكر وعلماء الاجتماع وعلماء النفس بهذه العلاقة؛ فكل منهم يحاول من جانبه أن يُقدم ما يخدم نجاح هذه العلاقة، لأن في ذلك استمرار الحياة نفسها وسعادتها وتطورها، على الرغم من أن بعض الديانات تبيح الطلاق، إلا أنها تضع عوائق كثيرة في سبيله، وحصرها في حالة نشوء الخلافات والتوترات الزوجية التي قد تصل إلى درجة عالية بحيث تصبح حياتهما معاً مستحيلة، عند ذلك يمكن اللجوء إلى الطلاق كحل أمثل لهذه المشكلات"[2].

إن مصير الأطفال يتأثر بمشكلة الطلاق؛ إذ تعتبر هذه المشكلة بالنسبة لهم تجربه نفسية قاسية تؤثر على بناء شخصية الطفل، بالإضافة إلى أنها تفسد الطفل؛ إذ تجعل مشاعره غير مستقرة، ويكون الاضطراب مصاحباً له، ويمتد أثره على حياته الدراسية[3].

والسبب في ذلك أن الطلاق يؤثر على صحة الأبناء النفسية والجسدية؛ خصوصاً إذا كانوا في سن الخامسة أو السادسة أو أكثر، نتيجة لعدم اهتمام الأبوين بهم في خضم المشاكل العائلية بينهما، وعدم إشرافهم عليهم، مما يؤدي إلى هبوط معنويات الأطفال في هذا السن، ويواجهون ذلك باليأس والبكاء، ويعيشون حياة كلها توتر وقلق واضطراب ويتعطشون للحنان والمحبة والرعاية، فضلاً عن الأمور المالية التي تزيد نسبتها مع كبر سنهم، نظراً لفقدان تجمع الأب والأم معاً.

وإذا تجاوز عمر الأطفال السابعة فإن سلبيات الطلاق تكون لديهم أكثر وأكبر لأنهم في هذه الحالة يدركون أسباب النزاع الدائم بين الوالدين، وينعكس ذلك سلبياً عليهم بالهروب من المدرسة والتسول في سلوكهم، وضعف الثقة بالنفس، وعدم التوازن ومشاركة الجماعة، وحرمانهم من التنشئة الاجتماعية السليمة، مما يدفعهم إلى اللجوء إلى التسول في بعض الأحيان؛ فالبيئة الاجتماعية المريضة تخلق صراعاً مع النفس يقود إلى القلق الذي يؤدي بالطفل إلى الأعراض العصبية؛ كما في حالات الهستيريا، والمخاوف المرضية والوساوس والاكتئاب ومعظم الأمراض النفسية كما يؤدي إلى السلوك الغير سوي مثل التسول وارتكاب الجريمة.

3. الانهيار الأخلاقي في الأسرة وأثره على التسول: الانهيار الأخلاقي في الأسرة يعتبر في مقدمة العوامل التي تقود الطفل إلى التسول، وفيها تنعدم القيم الروحية، وتُفقد فيها المثل العليا، وتختل المعايير الاجتماعية داخل جدران المنزل، وتكون الحياة داخل

([1]) سناء الخولي:، الزواج و العلاقات الأسرية، دار الفرقة الجامعية، مصر، 1990م، ص259.

([2]) علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، مكتب الخدمة الاجتماعية، القاهرة، ط11، 1985م، ص154.

هذه الأسرة مجردة من معاني الشرف والفضيلة والسلوك الطيب، وتصبح فيها الجريمة وسوء الخلق والتسول أمراً عادياً، لا يرى فيه أفراد الأسرة خطأً أو يحسون فيه معنى الخطيئة.

ومن أهم عوامل الانهيار الأخلاقي داخل الأسرة: انحراف الوالدين أو أحدهما أو انحراف أكبر الأبناء أو أكبر البنات، وعندما ينشأ الطفل في هذه البيئة الفاسدة يصبح التسول بالنسبة له أمراً عادياً، وقد يكون الأب سارقاً أو قاتلاً أو من تجار المخدرات، أو يكون سكيراً أو منحرفاً جنسياً، فإن كل ذلك ينعكس أثره على أفراد الأسرة، ويكفي أن مثل هذا الأب سيكون منصرفاً عن أولاده ويساهم ذلك في إهداره لواجباته الأسرية.

وانحراف الأب يجعل رعايته للأولاد رعاية ناقصة معيبة، وتتضمن توجيهاً فاسداً يخلق منهما أطفالاً منحرفين، وكذلك الأم انحرافها يشكل كارثة كبيرة على الأسرة، وينتهي سلوكها المعوج إلى احتراف الرذيلة، ويكون أثر الأم على البنات أشد وضوحاً من تأثيرها على أبنائها الذكور لقرب البنات منها، ورغبتهن في تقليدها، وقد يكون هناك نوع آخر من انحراف الأم داخل المنزل؛ كطريقة معاملتها للمحيطين بها، فقد تكون مسرفة في التدليل أو مسرفة في القسوة أو كثيرة الشجار مع أفراد أسرتها أو مع الجيران وتستعمل ألفاظاً بذيئة في حديثها أو تكثر من الشجار والخلاف مع الأب أمام أطفالها، وفي هذه الحالة يأخذ الأبناء طريقة الأم السيئة ويقلدونها، والأم قد تتجه إلى البغاء، فحينها يعيش الطفل في جو منحل، وقد يأخذ المثل السيئ عن والديه، ويفقد الاحترام لهما ولنفسه ولكل القيم الأخلاقية، لذلك فإن فشل الأسرة في تقديم نموذج أخلاقي سليم يلعب دوراً رئيسياً في انحراف الأبناء[1].

وتأسيساً على ذلك، فإن الخلل الاجتماعي للأسرة هو من أحد الدوافع للتسول، وانتماء الطفل إلى أسرة تنتشر فيها الإباحية، يمهد له الطريق إلى التسول والتشرد والضياع.

4. **زملاء وأصدقاء الطفل المحطين به:** إن تكوين شخصية الطفل تستمد من المحيطين به وعلى الأخص أفراد أسرته، وترتبط بهم ارتباطاً وجدانياً، ويمكن لهذا الارتباط أن يمتد إلى خارج نطاق الأسرة إلى أشخاص يتصل بهم، سواءً كانوا من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء أو زملاء المدرسة أو في الحي السكني، ويرى جلوك وجلويك: " إن الطفل يميل إلى مصاحبة الأحداث الذين يتفقون معه في الميول السلوكية، أو بعبارة أخرى فإنه لا يرتبط برفيق منحرف إلا إذا كان بينهما اتفاق سابق في الميول الإنحرافية، وتجانس

([1]) عباس مكي: تماسك الأسرة العربية ودور الأب والأم في الوقاية من الجريمة والانحراف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1465هـ ، ص157.

في العادات والصفات التي تقود إلى السلوك المضاد للجماعة، ومن العسير أن يندمج الطفل السوي في جماعة منحرفة إلا إذا كان لديه استعداد طبيعي وميل فطري للسلوك المعوج[1].

وجماعة الزملاء و الأصدقاء من أشد الجماعات تأثيراً على سلوك وشخصية الطفل، ويلتقي الطفل بزملاء في المدرسة أو الحي، وهؤلاء بإمكانهم أن يقضوا عليه، حيث أن من تلك الصحبة ما هي ضئيلة الخطورة، ومنها ما هي شديدة الخطورة، وتتألف من جماعة يلتمسون في تآلفهم تأكيد الذات والشعور بالأمن.

5. المدرسة: تأتي أهمية المدرسة بعد الأسرة مباشرةً، لأنها مكملةً لدور الأسرة في التربية والتعليم، لذلك تُعد المدرسة المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة، لأنها توثر على الطفل ورعايته وتنمية مواهبه، وتوفر له فرصة لعلاقات جديدة، وفرصة لتربية منظمة وتأهيل للمستقبل، لأنها المكان المناسب لتطوره ونموه النفسي والاجتماعي، وقد تكون عاملاً لانحراف الأطفال إذا لم تقم المدرسة بدورها المرسوم لها، وقد أثبتت مدرسة التحليل النفسي أن: "السنوات الخمس التي يقضيها الطفل في المنزل من أهم سنين حياته، أما المدرسة فهي تكمل عمل المنزل، وأهم وأعظم قوة أخلاقية في المجتمع تعمل على بناء أخلاق التلاميذ"[2].

والمدرسة تزود الطفل أولا بالقراءة والكتابة اللتان تتيحان له الاطلاع والمعرفة، ثم تزوده بجميع أنواع المعارف الضرورية لفهم نفسيته والآخرين، ولفهم ما يجري حوله من أحداث أو تغيرات، ذلك أن دور المدرسة لا يتوقف على تزويد الطفل بالمعلومات الضرورية لتأهيله في المستقبل، وإنما لها دور أكثر أهمية هو دور التربية والتنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي، ففيها يتعلم الطفل القواعد السلوكية السليمة والمفاهيم الضرورية لهذه القواعد، من خلال ما توفره المدرسة من علاقات بين الأطفال وبين الراشدين، متعلمين أصول التربية اللازمة لفهمه ومساعدته على تخطي الصعوبات التي تعترضه في البيت أو المدرسة، وفيها أيضاً يتعلم الطفل أساليب التصرف الحسن مع أقرانه، وذلك من خلال الاحتكاك مع الآخرين، إما داخل الفصل أو ساحة المدرسة أو في أي فعاليات أخرى تقيمها المدرسة، وفي المدرسة يكتسب الطفل قيماً اجتماعية جديدة لم يتح له اكتسابها في أسرته، والطفل الذي يحرم من المدرسة، أو تركها خلال وقت مبكر لسبب أو لآخر يكون قد فقد لذلك أهم مؤسسة اجتماعية يمكن لها أن تلعب دوراً إيجابياً في وقايته من التشرد في الشوارع أو الاختلاط بأوساط موبوءة اجتماعياً ونفسياً مما يعرضه للتسول، وهنا تبدو رسالة المدرسة في الكشف عن هذه الظاهرة وتسجيلها، سواءً بواسطة معلم الفصل أو الأخصائي الاجتماعي المدرسي، ثم مخاطبة الأسرة بشأنها لتنظيم التعاون بين المدرسة والمنزل في صدد البحث في أسبابها واتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء عليها قبل أن تصبح انحرافاً ثابتاً، والواجب على

---

(1) Glueck and glueck delinquency in the making op., cit,p 88

(2) عبدالله الرشدان: علم الاجتماع التربوي، دار عمار للنشر والتوزيع عمان، ط1، 1984م، ص83.

المدرسة الاهتمام بالتلميذ ذو السلوك غير السوي والمقصر في دراسته، لأن التلميذ الذي لا يلقى مراقبة واهتمام من المدرسة يبدأ في الهروب أو القفز عبر أسوارها والهروب إلى الشارع، حيث يجد مزيداً من الحرية ويقابل ألواناً من الرفقاء، ويقودونه مباشرةً إلى التسول، وقد لا نخطئ عندما نقول أن نقطة البداية في الانحراف تبدأ من الشارع[1].

ونستخلص من ذلك، أن تراجع دور المدرسة التربوي والتعليمي يكون أحد المسببات لخروج الأطفال للتسول وتسربهم من المدرسة، كما أن تواجد الأطفال المستمر في الشوارع بعيداً عن الأسرة والمدرسة يعتبر من العوامل المشجعة على تشردهم في مراحل لاحقة، حيث يهيمون في الطرقات بغير هدف واضح ويخرج الطفل إلى الشارع حيث رفقة السوء، وتتولد فيه كراهية للمدرسة والنفور منها، وتصبح في نظرة بداية المتاعب التي يعانيها.

ثالثاً: العوامل الاقتصادية وأثرها على التسول:

العامل الاقتصادي يشمل كافة المقومات المعيشية التي لها صلة وثيقة بالحياة اليومية للطفل، والتي يمكن أن تتأثر بها شخصيته؛ سواءً كانت داخل المنزل أم خارجه، فالفقر ومنطقة السكن والشارع وزملائه في المدرسة كلها لها أثر بارز في خلق حالة الطفل وظاهرة التسول، وسوف نستعرض بعضاً من هذه العوامل كما يلي:

1. **الفقر وظاهرة التسول:** الفقر ليس السبب الرئيسي للتسول، ولكنه عامل من عوامله، وقد يكون الفقر حافز على الكد والكفاح والعمل الشريف، لذلك فإن الفقر في حد ذاته ليس سبباً للتسول، وهناك الكثير من الأمهات والآباء لديهم صفات الشجاعة والشهامة والكرم والأمانة يفضلون العمل على التسول، ويؤثرون الفقر على الكسب غير المشروع، ويرفضون طرق التسول والجريمة رغم فقرهم، وهناك الكثير من الأحياء المزدحمة التي يغلب عليها طابع الفقر، ويسكنها الآلاف من أفراد الطبقات الكادحة لا يقومون بالتسول، ونجد أن أطفالهم الذين ينشئون في مثل هذه البيئات يشقون طريقهم في ثبات نحو بناء حياتهم الاجتماعية، ومنهم من يصل إلى أعلى المراكز، ومنهم من يكون دكتور أو مهندس أو معلم، وغير ذلك، لأن الفقر – أحياناً – يكون حافزاً للنبوغ والتفوق، وإن توفر المال في يد الطفل قد يكون مدعاة للفساد والانحراف، فالمحيط الاجتماعي يلعب دوراً رئيسياً في البيئة التي ينشأ فيها الطفل، وتعتبر الأسرة هي الخلية الأولى المسئولة عن ما يصيب الطفل من انحراف ، وقد يحدث التسول في بيئة فقيرة، فالطفل الذي ينشأ في بيئة فقيرة هو طفل سيء الحظ؛ لأنه يواجه الكثير من العناء، وينعكس ذلك على

([1]) محمد جنوح الأخرس: تركيب العائلة العربية ووظائفها، مرجع سابق، ص390، 391.

كافة مظاهر وجوده وسائر مقومات حياته، فالفقر يعني السكن المتواضع، وسوء التغذية، وسوء العلاج، وفي أحوال يحصل تفكك للروابط العائلية، وكل ذلك يؤثر على أحوال الطفل الجسمية والتربوية والثقافية[1].

وتأسيسا على ما سبق: يرى الباحث أن الفقر في ذاته ليس سبباً للتسول، بل قد يكون حافزاً على الكد والكفاح الشريف لكن عدم إشباع الرغبات وخيبة الآمال التي يشعر بها الطفل، والتي تنبع أساساً من الفقر، لا يمكن تجاهلها كعامل من عوامل التسول، ويجب البحث والتقصي عن العوامل الاقتصادية الأخرى التي ساهمت مع الفقر وتضافرت معه في تحقيق التسول.

2. المسكن وأثره في ظاهرة التسول: أسباب التسول كثيرة وعديدة، يأتي في مقدمتها عسر المعيشة، وتحول أسر متوسطة الحال إلى أسر فقيرة، وأصبحت أسر كثيرة لا تستطيع تلبية حاجات أفرادها من مأكل ومشرب ومسكن وملبس، وهناك أماكن سكن بعينها يمكن أن تنتج حالات تسول؛ فأوضاع السكن غير الصحية التي لا تتسع لعدد الأطفال الذين يتزايدون دائماً بسبب الوعي الخاطئ لدى الوالدين، وتكدسهم في غرفة واحدة لا يتوفر فيها أبسط المستلزمات الصحية، لتلقي بهم إلى الشارع بعد ذلك[2]. كما أن المسكن الذي يسكنه الطفل سواءً كان ضيقاً أو واسعاً له أثر في شخصيته، ونعني: "بالمسكن من الناحية المورفولوجية الخصائص المعمارية والصحية التي تشكل بنية الوحدات السكانية.

والمسكن الذي يقع على حافة الطريق يختلف في تأثيره عن المسكن المرتفع الذي تتهيأ له فرصة كشف معالم الشارع، أو الحي وهذا عامل خارجي يؤثر على الجانب الفسيولوجي؛ من علاقات إنسانية واتصال بين الأفراد، ونجد هذا العامل يؤثر على الطفل سلباً وإيجاباً، وجميع هذه العوامل تتضافر مع العوامل الأخرى لتدفع الطفل أحياناً للتسول، وإذا كان السكن مجاور لورشة نجارة أو ورشة حديد أو منطقة مفتوحة أو مصنع كل ذلك يمهد لبيئة غير صالحة، وعادةً يسكن بجوار هذه الأماكن أسر متواضعة ودخلها محدود، والسبب الرئيس في ذلك رخص الإيجار أو قيمة الأرض للبناء عليها تكون منخفضة، ومن هنا نجد أن الطفل ينشأ في هذه البيئة الممهدة له في أحوال كثيرة للتسول. كما ضيق السكن وكثرة عدد أفراد الأسرة وموقع الأسرة الجغرافي وعوامل نفسية ووراثية[3].

وبناءً على ما سبق، نجد أن هناك أماكن ومناطق تسبب التسول ولها دور كبير فيه، ويكمن الخطأ في الاعتقاد بأن المسكن البسيط له دور وحده في التسول، لأن هناك الكثير من الأطفال شبوا وترعرعوا في بيئات متواضعة، ولكنهم لم تظهر عليهم أعراض التسول في أي مرحلة من مراحل حياتهم، وهذا يؤكد الدور الذي يلعبه الاستعداد الشخصي الفردي في دفع الطفل إلى التسول.

([1]) طه أبو الخير، انحراف الأحداث، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1960م، ص19.

([2]) محمد سلامة غباري: الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين، مكتب الخدمة الاجتماعية، القاهرة، ط1، 1986، ص115.

([3]) علي بو عناقه: الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب، دراسة ميدانية في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1996، ص315.

ويمكن تلخيص ما سبق، على النحو الآتي:

أ- إن العوامل النفسية والعقلية جاءت في مجملها توضح أن العوامل الاجتماعية ذات المدلول السببي والتي تلعب دور سببياً في خلق السلوك المنحرف لا يمكن النظر إليها منفصلة عن العوامل النفسية والعقلية التي تخضع لها شخصية الطفل المتسول، وهذا يفسر إقدام طفل معين على ممارسة التسول، وإحجام طفل آخر عن ممارسة التسول، مع أن كليهما يخضعان لنفس الظروف والعوامل الاجتماعية، وعلى هذا يمكن أن نحدد المكان الصحيح للعوامل النفسية في مشكلة أسباب تسول الأطفال، وهذه العوامل لا يمكن إهدارها كقوة سببية قد تقود بذاتها إلى التسول، والتحليل النفسي يساهم في إمكانية فهم الطبيعة الإنسانية بطريقة أفضل، ويكشف عن السلوك الإنساني بوجه عام، والسلوك المنحرف بشكل خاص، لذلك نأخذ بعين الاعتبار دائما أن العوامل النفسية والعقلية لا يمكن فصلها تماماً عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والعوامل الأخرى.

ب- إن العوامل الاجتماعية التي تتصل بحياة الطفل وسط أسرته التي نشاء فيها، وتفكك الأسرة بسبب غياب أو مرض أحد الوالدين، والانحراف الأخلاقي داخل الأسرة، وتأثير الأصدقاء أو الرفقاء في الطفل، وتأثير المدرسة، كلها تؤثر في الطفل، ويكون الطفل عرضة للتسول بسبب ما يصاحب هذه العوامل من نقص في الرعاية والتوجيه، وإذا تحققت عوامل الانهيار في الأسرة ووجد الطفل مع ذلك رعاية كافية وتوجيهاً سليماً من أي طريق آخر فإنه يصبح بمنأى عن التسول غالباً.

ج- إن العوامل الاقتصادية والمتمثلة في الفقر والمسكن غير الملائم والحي كمقوم مور فولجي في مجملها أوضحت مدى العلاقة بينها وبين التسول، وهذه العوامل قد تتضافر مع العوامل الأخرى لتدفع الطفل المعرض للتسول إلى الوقوع في التسول فعلاً.

د- الفقر والسكن والأحياء الفقيرة المكتظة بالسكان التي تنتشر فيها الأماكن المهجورة ودور السينما الرخيصة تعتبر بيئة صالحة للتسول.

هـ- إن العوامل الاقتصادية المتمثلة في: الفقر، والمسكن غير الملائم، والحي، أوضحت - في مجملها - مدى العلاقة بينها وبين ظاهرة التسول، وهذه العوامل قد تتضافر مع العوامل الأخرى لتدفع الطفل إلى التسول.

المطلب الثالث

أساليب الحد من ظاهرة التسول

هناك العديد من الأساليب للحد من ظاهرة التسول، نبينها على النحو الآتي:

أولاً: التنشئة الوالدية:

تعتبر التنشئة الوالدية من أهم العوامل البيئية التي تتم من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية، فقد أجمع علماء النفس وعلماء الاجتماع باتجاهاتهم المختلفة على أن أساليب التربية التي يتبعها الولدان في تنشئة أطفالهما لها أكبر الأثر في تشكيل شخصياتهم في المستقبل، وفي نوع الاضطرابات النفسية التي يتعرضون لها، ولهذا فالأسرة هي صاحبة الدور الأول في عملية تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية ودينية وسياسية وأخلاقية، ومن خلال الأسرة يتم الإشباع لكثير من العواطف والدوافع والغرائز[1].

وتأسيساً على ذلك: فإن مفهوم التنشئة الوالدية يشير إلى نوع المعاملة التي يتلقاها الطفل من والديه في المنزل وطبيعة علاقته بهما، ويقصد بها كل سلوك يصدر عن الولدين ويؤثر في الطفل وفي شخصيته؛ سواءً قصد بهذا السلوك التوجيه أم التربية.

ولهذا تعتبر التنشئة الوالدية موضع اهتمام كبير من قبل علماء الاجتماع وعلماء النفس، حيث أنها تعتبر من أهم العوامل البيئية التي تؤثر في سلوك الإنسان، وأن النمو النفسي لأي شخص ينتج عن منظومة الأسرة التي ينتمي إليها، وليس هناك خلاف على أن الأسرة هي أهم مصادر القيم السائدة في المجتمع، وهي تشكل وحدة إنتاجية تقتضي التشديد على العضوية والعصبية والتعاون والالتزام الشامل بين أعضائها[2]. ويتضمن مفهوم التنشئة الوالدية العمليات الآتية[3]:

1. التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء أساليب الثواب والعقاب التي ينتهجها الوالد أو الوالدة أو كلاهما، بقصد تعليمه أو تدريبه.
2. التأثير الذي يحدث في سلوك الطفل من جراء اشتراكه في المواقف الاجتماعية التي ينتهجها الوالد أو الوالدة أو كلاهما، بهدف تعليمه الأساليب الصحيحة للسلوك.

([1]) عبد الرحمن العيسوي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة، الأسرة ودورها في حل مشكلات الطفل ، مرجع سابق، ص109.

([2]) رشاد محمد العليمي، التفاعل بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة وأثرها على موقف الوالدين من تنشئة الطفل في المجتمع، مجلة كلية الآداب، مجلة فصيلة، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية، العدد17، 1994م، ص719.

([3]) أحمد الزغبي ، الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال، دار الحكمة اليمانية، اليمن، ط1، 1994م، ص21، 22.

ثانياً: دور الأبوين في حماية أطفالهما من التسول:

إن وظائف الأبوين تشكل القاعدة الأساسية والصلبة للنظام في الأسرة، ويحتاج الوالدان إلى رؤية واضحة تتمثل في إيجاد علاقات جيده طيبة قائمة على التفاهم والتكامل، والحفاظ عليها وعلى وحدة الرؤية لحياتها المشتركة، وتلك العلاقات التي يجب أن تكون أهدافها أبعد من تلبية احتياجات أطفالهما، ولعل أفضل وظيفة يجب على الأسرة أن تتبناها هي: "مسؤولية المحافظة على نموذج وظيفي مقبول لأطفالها، وهذا ليس بالأمر اليسير، إلا إذا كان الزوجان على درجة كبيرة من الوعي والتفاهم"[1].

ومما لا شك فيه، إن الأبناء بشكل عام بحاجة إلى أبوين متفاهمين، يعملان معاً، بحيث إذا غفل أحدهما أو شُغل استطاع الآخر المساعدة في إيجاد طريق للخروج من المآزق والمحن، والوصول إلى حل عملي وواقعي، وإن من السهل الحصول على الأطفال، لأنها عملية بيولوجية لا تحتاج لمهارة أو ذكاء أو تدريب، ولكن التحدي هو تنشئتهم، لذلك فإن من أهداف الأبوين ووظيفتهما لحماية أولادهما من التسول هي: حمايتهم والتخفيف عليهم من الضغوط التي تمارس ضدهم؛ سواءً من داخل الأسرة أم من خارجها، إذ تعتبر الرعاية والحماية من أهم وظائف الأسرة، على الرغم أنه يمكن حماية ورعاية الطفل عن طريق المؤسسات الاجتماعية الأخرى، إلا أن حماية ورعاية الأسرة أكثر فاعلية"[2].

وبناءً على ذلك، فإن دور الوالدين (الأسرة) كبير في معالجة تسول الأطفال، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت أفكار الوالدين سوية وعقلانية وموضوعية، وتكون الأسرة متماسكة، والحوار والتفاهم والاحترام المتبادل والتمسك بالتعاليم الإسلامية هو السائد في الأسرة، وكل هذه الوسائل وقائية تحمي الأسرة وأفرادها، وتقوي أواصر الصلة بين إفرادها، وتعزز تنمية قدراتهم الشخصية لمواجهه أي أفكار غريبة تتعرض لها الأسرة، سواءً كان ذلك من القنوات الفضائية أو الإنترنت، أو من خارج أفراد الأسرة من الأصدقاء أو الرفقاء.

ثالثاً: دور المدرسة في الحد من التسول:

للمدرسة دور مهم في حماية التلاميذ وغرس القيم والعادات والتقاليد والمبادئ و القيم، كما أن إضافة مناهج دارسيه جديدة توضح الوقاية من التسول، وإتاحة الفرصة للتلاميذ للتعبير عن أراءهم وأفكارهم في ما يواجهونه من مشاكل داخل المدرسة وخارجها، تساعد الطالب على عدم الوقوع في هذه الظاهرة الخطيرة على الأسرة والمجتمع، وعلى المدرسة أن تتحمل الدور المناط بها في تزويد التلاميذ بالأفكار السليمة عن المجتمع. لذلك فإن انعدام التوجيه في المدارس، ووجود قصور في الناحية التربوية، وانحصار دور المدرسة

([1]) تماضر حسون: أهداف ودور الأسرة في وقاية أبنائها، مقال في مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، السعودية، العدد 224، يوليو، 1995م.

([2]) عبدالله خوج، فاروق عبد السلام: الأسرة العربية ودورها في الوقاية من الجريمة والانحراف، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1989، ص24.

على سرد المناهج والمعلومات دون الاهتمام بتعديل النواحي السلوكية والأخلاقية لدى الطلبة يكون له انعكساً سلبياً على سلوكهم، إذ أن دور المدرسة مهم جداً في غرس القيم والعادات والتقاليد والمبادئ، لما لذلك من أثر إيجابي على الطلاب، حيث يمكن الاستفادة من التعليم والمدرسة في تنمية الشخصية الاجتماعية، من خلال ربط المدرسة بالمجتمع المحلي وتفعيل دورها في حماية المجتمع، وعدم قصر نشاطها داخل أروقة المدرسة، فالمدرسة كمؤسسة تربوية عتيقة وحديثة قد تدهور وضعها وتراجعت أدوارها التربوية والتعليمية التهذيبية إلى الوراء، ففي الوقت الذي تزداد فيه رقعة التعليم بشكلها الأفقي من خلال ازدياد عدد المدارس والمعاهد والكليات، إلا أن مخرجات هذه المؤسسات التعليمية ليس بالمستوى المطلوب وخاصة من الناحية النوعية[1].

كما أنه يمكن إضافة مناهج دراسية جديدة حول الوقاية من الجريمة والتسول، توضح كيف يمكن للتلاميذ تحصين أنفسهم من التسول، ومعرفة السبل الناجحة للابتعاد عن مهاوي التشرد والضياع، ووضع خطة استراتيجية للإرشاد النفسي الجماعي للوقاية من الاضطرابات النفسية، وتوجه على الأخص للوقاية من التورط في التسول، وضرورة انتقاء المدرسين بكل دقة وحذر، بحيث يتصفون بالذكاء والفطنة والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة للطالب، بالإضافة للمقدرة الشخصية التي تمكنهم من استيعاب المتغيرات الحضارية التي يعيشونها وعكسها في المناهج الدراسية بشكل مشوق، وأن يكونوا قدوة يحتذى بهم علماً وخلقاً، لذلك فإنه يجب التوسع في إعداد مثل هؤلاء المعلمين وتحميلهم مهمة الاضطلاع بأمر التلاميذ، كما أنه من المهم تعليم التلاميذ مهارات التفكير السليم والفعال وحل المشكلات، وإتاحة المجال لهم للتعبير عن ما يجول في خاطرهم، ونقل أفكار الآخرين وآرائهم بما يفيد الجميع، مع تقبل النقد من الآخرين أيضاً، واستخدام التقنية الحديثة وتفعيلها في المدارس في المجالات المختلفة تحقيقاً للأهداف التعليمية والتربوية.

رابعاً: دور وسائل الإعلام المختلفة:

تلعب وسائل الإعلام المختلفة دوراً كبيراً في الوقاية من التسول عند الأطفال، من خلال توعية الأسر وتوضيح الحقائق عن ظاهرة التسول، ووضع الإعلام المضاد، عن طريق تدفق مستمر وواع للمعلومات والحقائق عن ظاهرة التسول، وما يستجد فيها أمام الجميع، كما أنها تسهم في وقوع مشكلة التفكك الأسري من خلال برامجها وما يعرض فيها، ويمكن أن تساهم وسائل الإعلام في العلاج من خلال وعي القائمين عليها بمسؤولياتهم نحو المجتمعات التي يوجهون برامجهم لها، فيمكن تقديم برامج وندوات حول عدد من الموضوعات؛ مثل مقومات الأسرة المسلمة في العصر الحديث، وحقوق الزوجين في الإسلام، والسعادة الزوجية، ومشكلة الأبناء وكيف يمكن حلها، ومشكلات أسرية معاصرة؛ كالطلاق وانحراف الأحداث وظاهرة التسول وغيرها من الموضوعات التي تهم الأسرة

(1) محمد صفوح الأخرس، تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة السورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، ط1.

والمجتمع ككل، ويمكن أيضاً طرح مثل هذه الموضوعات من خلال الكتب، وفي المجلات والصحف وعلى مواقع الإنترنت، وعلى برامج اللقاءات المباشرة. وتعتبر وسائل الإعلام من المؤثرات التي تسهم بدور فعّال في تشكيل سلوك الأفراد، ويتأثر بها الصغار قبل الكبار، حيث نجد أن الطفل له ميل في تقليد ما يراه، ويستهويه ما يشاهده في الانترنت والتلفزيون والسينما والمسرح وما يسمعه في الإذاعة وشرائط الكاسيت والأشرطة الممغنطة وغيرها، وللأسرة دور كبير في المراقبة والمناقشة على ما يشاهده أطفالها من هذه الوسائل الإعلامية، وبقدر ما تحمله هذه الوسائل من ايجابيات فإنها تحمل من طرف آخر سلبيات، ولها تأثير في مختلف المجالات: الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية، وعلى العامة والخاصة من أبناء المجتمع[1].

وتتمثل خطورة ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة فيما تعرضه من برامج لا تخضع للرقابة؛ كأساليب الغش وعرض الأفلام التي تحتوي على مشاهد جنسية وأفلام تبرز الجريمة على أنها عمل بطولي، فضلاً عما يمكن أن يبثه من أفكار مشوهة ومفاهيم خاطئة وموضوعات رخيصة ومخلة[2].

إن الأسرة التي تعرف كيف تقوم بتنشئة أطفالها يبقى تأثير الإعلام عليها محدوداً، والخطر يأتي من الأسرة المفككة، والتي يمكن لوسائل الإعلام المختلفة أن تلعب دوراً في التأثير على سلوك الأطفال فيها.

وعلى وزارة الإعلام أن تقوم بدورها في توضيح الحقائق عن ظاهرة التسول، وبث مواد إعلامية تسهم في العلاج من هذه الظاهرة الخطيرة، بما يوضح الصورة أمام الجميع، وضرورة مراعاة مصلحة الأطفال في ما يبث من مواد، والتوعية العامة والتنبيه إلى إخطار ومضار الأداء السلبي لبعض وسائل الإعلام؛ وبخاصة المحطات الفضائية والإنترنت، المسببة لبعض الاضطرابات السلوكية والنفسية، والعمل على مواجهه تلك الآثار بالتركيز على دور الأسرة والمدرسة وفي التنشئة السليمة، ومراعاة الوسائل الإعلامية في اختيار المواد التي تقدم للأطفال، وأن تقدم البدائل الآمنة للأطفال، بما يصرفه ويغنيهم عن استقبال المواد والمعلومات الضارة، وإيجاد برمج ومواد ومعلومات تغني الأحداث وتقيدهم بما ينفعهم في حياتهم.

ويمكن ذكر أبرز أسباب التسول التي يتعرض لها الطفل، على النحو الآتي:

1. غياب أحد الوالدين عن الأسرة لفترة طويلة مع إهمال الطرف الآخر لعملية الأشراف والتوجيه للطفل ومراقبة تصرفاته وسلوكه.

([1]) علي بن فايز الجحني، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2000م، ص 150.

([2]) مريم حنا وآخرون، رعاية الفئات الخاصة من منظور الخدمة الاجتماعية، مرجع سابق، ص325 .

2. إهمال الأسرة وخروج الأبناء إلى الشارع دون توجيه ومراقبة لسلوكهم، وتركهم ضحية للتشرد في الشوارع ومصاحبة رفقاء السوء.
3. وفاة والد الطفل وتدهور الحالة المادية للأسرة، وزواج أم الطفل برجل آخر.
4. تفكك الأسرة نتيجة طلاق والدة الطفل وزواج والد الطفل.
5. الظروف السيئة التي يتعرض لها الطفل نتيجة لوفاة والده أو والدته.
6. عدم متابعة الأسرة والمدرسة للطفل عند هروبه من المنزل أو المدرسة ومحاولة معالجة الأسباب التي دفعته للقيام بذلك.
7. المستوى التعليمي المتدني للآباء والأمهات، وانتشار الأمية في صفوفهم، مما يسبب الجهل بأساليب التنشئة الأسرية من الناحية التربوية، في مقابل استخدام أساليب تنشئة خاطئة تعتمد على ممارسة القسوة المفرطة أو التدليل الزائد، أو الإهمال واللامبالاة، أو التناقض في استخدام تلك الأساليب.
8. كثرة المشاكل بين الوالدين بسبب الفقر أمام الأبناء وتأثيرها عليهم.
9. إن اغلب الأطفال المتسولين جعلوا التسول مهنة لكسب المال مستخدمين أساليب عدة لاستغلال الناس؛ كالأمراض والعاهات والتشوهات الخلقية أو اللجوء الى التسول المتنكر بعرض بعض البضائع، والبعض الآخر يلجأ لعرض بعض الخدمات حسب حاجة الشخص لها مثل مسح زجاج السيارات، كما أن بعض المتسولين اتخذوا التسول مهنة من آبائهم، فنجد أن الأسرة تعمل بالتسول ولا يرون في ذلك عيبًا.
10. إن السبب في انتشار ظاهرة التسول عند الأطفال هو ارتفاع نسبة البطالة بسبب الحرب وتدني مستوى دخل الأسرة، مع زيادة نسب التفكك الأسري والزواج المبكر، وغلاء المعيشة إلى جانب استمرار ظاهرة هجرة الذكور البالغين من الأرياف للمدن بحثاً عن فرص عمل.
11. يتم استغلال الأطفال في التسول من قبل شبكات تسوّل تستأجرهم من أسرهم، مقابل رواتب شهرية، أو يتم استغلالهم من أسرهم مباشرة بالعمل تحت إشرافهم.
12. إن السبب الرئيسي لتسرب الأطفال من المدارس هو الوضع الاقتصادي السيئ الذي أجبرهم على الخروج إلى العمل منذ سنوات وليس في الآونة الأخيرة فقط.
13. تزداد ظاهرة تسول الأطفال انتشاراً في العاصمة صنعاء وغيرها من المدن الرئيسية، حيث لا يخلو مسجد أو شارع إلا وفيه العشرات من المتسولين الأطفال وغيرهم وهو ما ينذر بالعديد من المشكلات الاجتماعية الخطيرة.

ومن ابرز أنواع الانحرافات التي يتعرض لها الطفل أثناء التسول ما يأتي:

1. السرقة تأتي في مقدمة انحرافات الأطفال المتسولين، وتتوزع على مختلف الفئات العمرية للأطفال المتسولين.
2. الانحرافات الأخلاقية، والمتمثلة في اللواط، وقيام الطفل بتناول المخدرات والحشيش والسجائر.
3. إن تواجد الطفل في الشارع يجعله فريسة سهلة وموضوع جريمة يكون هو ضحيتها، وإن الأطفال الأصغر سناً يكونون أكثر عرضة لأنواع معينة من العنف، وتتنوع المخاطر بتقدمهم في العمر من عنف واستغلال وإيذاء جسدي و معنوي.
4. انتشار الأمراض النفسية بسبب نشوء الأطفال المتسولين في الشوارع ورؤيتهم لغيرهم من الأطفال الذين ينعمون بحياة مرفهة.

وتأسيساً على ذلك، فإن أهم طرق الوقاية من التسول تتمثل في الآتي:

1. **دور الأسرة:** للأسرة دوراً كبيراً في معالجة تسول الأطفال، وذلك بأن تكون أفكار الوالدين سوية وعقلانية وموضوعية، وتكون الأسرة متماسكة، والحوار والتفاهم والاحترام المتبادل، والتمسك بالتعاليم الإسلامية، وكل هذه وسائل وقائية تحمي الأسرة وإفرادها، وقائمة على أواصر الصلة بين أفرادها، وتعزز تنمية قدراتهم الشخصية لمواجهه أي أفكار غريبة تتعرض لها الأسرة؛ سواءً كان ذلك من القنوات الفضائية أم الإنترنت، أو من خارج إفراد الأسرة من الأصدقاء أو الرفقاء.
2. **دور المدرسة:** للمدرسة دوراً مهماً في حماية التلاميذ وغرس القيم والعادات والتقاليد والمبادئ القيمة، وإضافة مناهج دارسيه جديدة توضح فيها الوقاية من التسول، وتساعد الطالب على عدم الوقوع في هذه الظاهرة الخطيرة على الأسرة و المجتمع، وإتاحة الفرصة للتلاميذ للتعبير عن أراءهم وأفكارهم في ما يوجهونه من مشاكل داخل المدرسة وخارجها.
3. **دور وسائل الإعلام المختلفة:** يظهر دور الإعلام بتوضيح الحقائق عن ظاهرة التسول، وبث مواد إعلامية تسهم في العلاج من هذه الظاهرة الخطيرة، وما يستجد فيهما في الوقت المناسب، بما يوضح الصورة أمام الجميع، وضرورة مراعاة مصلحة الأطفال فيما يبث من مواد، والتوعية العامة والتنبيه إلى أخطار ومضار الأداء السلبي لبعض وسائل الإعلام وبخاصة المحطات الفضائية والانترنت المسببة لبعض الاضطرابات السلوكية والنفسية، والعمل على مواجهه تلك الآثار بالتركيز على دور الأسرة والمدرسة في التنشئة السليمة ومراعاة الوسائل الإعلامية في اختيار المواد التي تقدم للأطفال، وأن تقدم البدائل الآمنة للأطفال لما يصرفهم عن استقبال المواد والمعلومات الضارة.

الخاتمة

تبين لنا في صفحات هذا البحث أن هناك العديد من العوامل الدافعة نحو التسول، وتبين لنا أيضاً دور التنشئة الاجتماعية في الحد من ظاهرة التسول.

وهدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على ظروف الأطفال المتسولين في المجتمع اليمني، والتعرف على العوامل المؤدية إلى تسولهم، والمساعدة والمساهمة في وضع الحلول المعالجة لهذه الظاهرة الخطيرة، وذلك من خلال التشخيص لهذه الظاهرة، ومعرفة العوامل وراء هذه الظاهرة، ومعرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية للطفل المتسول، وعلاقة كل ذلك بالأسرة والمجتمع، والكشف عن الدوافع المؤدية لظاهرة التسول.

إن ما نستنتجه من خلال هذا البحث هو الوقوف على أهم الأسباب المؤدية للتسول والظروف المحيطة به والنتائج المترتبة عليه وتأثير الواقع الاجتماعي على الأطفال المتسولين والذي يعمل على تهميشهم وإقصائهم، وهذا ما يدفع بهم الى الإقبال على السلوك الإنحرافي المتمثل في امتهان التسول، وإن هناك حالات من الأطفال عاشوا في جو أسري هادئ ولكن مع مرور الوقت تتزايد المشاكل إلى ذروتها مما يؤدي إلى حدوث تفكك أو تصدع داخل الأسرة، وذلك بفقدان العائل بشتى الحالات، سواءً بالموت أو الطلاق أو غيره، مما يؤدي للخروج إلى امتهان التسول من جميع الفئات العمرية، سواءً كانوا أطفال أو رجال أو نساء، ولكن فئات الأطفال هي التي تشكل الأكثر داخل شوارع أمانة العاصمة والذين يرون أن التسول مهنة مريحة وغير متعبة، ويستطيع المتسول الكسب بطريقة سريعة يكون الدور فيها لعبارات الشفقة والتحايل عن طريق تصنع العاهات أو غيره.

وبناءً على ذلك، نبين نتائج هذا البحث وتوصياته على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

1. إن العوامل الاجتماعية أو الاقتصادية (طلاق، وفاة أحد الوالدين أو كليهما، الهروب من المنزل، المدرسة، الفقر) وغيرها من العوامل المسببة للتسول، تؤثر على الطفل وتجعله يلجأ إلى الشارع، ومنه يبدأ مرحلة التشرد والضياع وقد يتجه نحو التسول.
2. إن الثقافة البسيطة وتدني التعليم لدى لوالدين قد يؤثر سلباً على الأبناء، وقد يساهم في تحولهم نحو التسول، فكلما تدنى مستوى التعليم، فإن ذلك يعني – في أغلب الأوقات – تدني المستوى المعيشي للأسرة، وإمكانية تشغيل الأبناء وتسولهم، وكلما ارتقاء المستوى التعليمي للام والأب، كلما كانت الأسرة أكثر تماسكاً وفائدة لنفسها وللمجتمع.

3. إن كثرة المشاكل التي تحيط بالطفل، وعدم تكيفه مع أسرته وخصامه الدائم معهم، والمعاملة القاسية التي يلاقيها من والده أو والدته قد تجرّه نحو التسول.

4. إن وفاة أحد الوالدين قد تؤدي إلى حدوث اضطراب عاطفي وصدمة قوية تؤثر على نفسية الطفل وشخصيته وفقدانه للعطف والحب والحنان وقد تدفعه نحو التسول.

5. يساهم انفصال الأب عن الأم – أحياناً – إلى اتجاه الطفل نحو التسول، بالإضافة إلى عوامل أخرى.

6. إن مسكن أسر الأطفال المتسولين يؤثر فيهم إلى جانب عوامل أخرى.

ثانياً: التوصيات: نوصي بما يلي:

1. ضرورة قيام وزارة التربية والتعليم بما يلي:

- ❖ تعيين مشرفين اجتماعيين ونفسيين في كل مدرسة، مهمتهم دراسة الحالات الاجتماعية والنفسية للطلاب المعرضين للتسول أو الهروب من المدرسة والعمل على حل كل ما يعيق الطالب من إتمام الدراسة.
- ❖ وضع خطط وبرامج تثقيفية تستهدف الأبوين للارتقاء بمستواهم الثقافي وتعليمهم الأساليب الحديثة للتنشئة الاجتماعية، من خلال التخطيط المنسق لبرامج محو الأمية؛ وخاصةً في الأرياف، بالإضافة إلى ضرورة الارتقاء بالمستوى التعليمي.
- ❖ الاهتمام بالمدارس من ناحية المناهج التي تقررها، وتكليف مدرسين على قدر كبير من المسئولية والوعي.
- ❖ زيادة عدد الأخصائيين الاجتماعيين العاملين في المدارس، باعتبارهم عناصر أساسية لحل المشكلات الاجتماعية.

2. ضرورة قيام وزارة الصحة برعاية الأسرة والاهتمام ببرامج تنظيم الأسرة، وصولاً إلى أسرة صغيرة يتمكن فيها الوالدين من ممارسة الأساليب الصحيحة للتنشئة الاجتماعية، لأن انخفاض حجم الأسرة يجعل نصيب الفرد من رعاية الأسرة أكبر من نصيب الفرد في الأسرة كبيرة العدد، وبالتالي تتمكن الأسرة من إشباع احتياجاتها المختلفة.

3. ضرورة قيام وسائل الإعلام المختلفة بوضع خطط وبرامج توعوية شاملة للحد من التفكك الأسري من التسول.

4. قيام وزارة الأوقاف بوضع البرامج التوعوية عبر خطباء المساجد لتوعية الأسرة بضرورة التمسك بقيم الإسلام الحنيف، وتقوية الوازع الديني بين أفراد الأسرة.

5. ضرورة اهتمام وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بالأسر الفقيرة، ومساعدتها، وتخصيص راتب شهري لهذه الأسر الفقيرة، وتوسيع شبكة الضمان الاجتماعي.

6. ضرورة إنشاء نوادي رياضية واجتماعية وثقافية للأطفال، حتى يجدوا المكان المناسب لقضاء أوقات فراغهم.

7. ضرورة القيام بدراسات مكثفة للتعرف على الأسباب النفسية والاجتماعية والتربوية والأسرية لتسول الأطفال، من أجل وضع برنامج وخطط لعلاجها والوقاية منها.

8. يجب على الآباء والأمهات تجنب الشجار والخلافات والنزاع أمام أولادهم، حتى لا ينعكس ذلك على سلوكياتهم ونفسيتهم ويتم حلها بطرق ودية وهادئة.

9. على الوالدين منح الطفل الاهتمام الكافي، وعدم إهماله، والقيام بمراقبة تصرفاته إذا تطلب الأمر ذلك، لأن الإهمال له آثاره السلبية على سلوكيات الأطفال.

10. القيام بدراسات مكثفة للتعرف على الأسباب النفسية والاجتماعية والتربوية والأسرية لتسول الأطفال، من أجل وضع برنامج وخطط لعلاجها والوقاية منها.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية المتخصصة:

1. أحمد مصفى خاطر: الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د.ت).
2. أحمد الزعبي: الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال، دار الحكمة اليمانية، اليمن، ط، 1994م.
3. السيد رمضان: إسهامات الخدمة في مجال انحراف الأحداث، القاهرة، د. ن، د. ط، 1990م.
4. تماضر حسون: أهداف ودور الأسرة في وقاية أبنائها، مقال في مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، السعودية، العدد 224، يوليو، 1995م.
5. رشاد محمد العليمي، التفاعل بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة وأثرها على موقف الوالدين من تنشئة الطفل في المجتمع اليمني، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد 17، عام 1994م.
6. سامية خضر: مجلة العالمية، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد 175، عام 2004م.
7. سعد مرسى أحمد، كوثر حسين كوجك: تربية الطفل قبل المدرسة، دار عالم الكتب، القاهرة، 1983م.
8. سمير الشميري: مشكلات اجتماعية من منظور سيسيولوجي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2009م.
9. سناء الخولي: الزواج والعلاقات الأسرية، دار الفرقة الجامعية، مصر، 1990م.
10. سناء الخولي: التفكك الأسري والمجتمع، منتدى عالم الأسرة، القاهرة، (د.ت).
11. طه أبو الخير: انحراف الأحداث، دار المعارف، الإسكندرية ، ط1، 1960م.
12. علي بن فايز الجحني: الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، أكاديمية نايف، الرياض، 2000 م.
13. علي محمد جعفر: الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.
14. عباس مكي، زهير حطاب: السلطة الأبوية والشباب، دراسة ميدانية اجتماعية نفسية حول طبيعة السلطة وتمثلها، الدراسات الإنسانية، علم اجتماع الأسرة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981م.
15. عباس مكي: تماسك الأسرة العربية ودور الأب والأم في الوقاية من الجريمة والانحراف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1465هـ.
16. عبد الباسط محمد حسن: علم الاجتماع، الكتاب الأول، مكتبة غريب، القاهرة، ط2، 1982م.

17. عبد الوهاب محمد كامل: بحوث في علم النفس، دراسات ميدانية تجريبية، مكتبات النهضة المصرية، القاهرة.

18. عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، الأسرة ودورها في حل مشكلات الطفل، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003م.

19. عبدالله الرشدان: علم الاجتماع التربوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1984م.

20. عبدالله خوج، فاروق عبد السلام: الأسرة العربية ودورها في الوقاية من الجريمة والانحراف، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1989م.

21. عليا شكري: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م.

22. علي الدين السيد محمد: الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، مكتب الخدمة الاجتماعية، القاهرة، ط11، 1985م.

23. علي بو عناقه: الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب، دراسة ميدانية في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1996م.

24. علي بن فايز الجحني، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، أكاديمية نايف، الرياض، 2000م.

25. محمد جنوح الأخرس: تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة السورية، منشورات الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م.

26. محمد سلامة غباري: الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين، مكتب الخدمة الاجتماعية، القاهرة، ط1، 1986م.

27. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

28. محمد كامل البطريق، محمد نجيب توفيق: مجالات الرعاية الاجتماعية وتنظيماتها، القاهرة، ط 1، 1970م.

29. محمود أحمد مرسي: دور نظام التعليم في تنشئة الطفل العربي، المستقبل العربي، القاهرة، 1987م.

30. مصطفى حديه: التنشئة الاجتماعية بالوسط الحضري، (د.ن)، المغرب، 2006م.

31. مصطفى دندشني: دور الأسرة الاجتماعي والتربوي، مجلة الباحث، بيروت، العدد 17، 1981م.

32. مريم إبراهيم حنا وآخرون: رعاية الفئات الخاصة من منظور الخدمة الاجتماعية، بل برنت للطباعة، القاهرة، 1997م.

33. منير العصرة: انحراف الإحداث ومشكلة العوامل، المكتبة المصرية الحديثة، الإسكندرية، 1974م.

34. هدى محمد قناوي: سيكولوجية المراهقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992م.

ثانياً: المراجع المترجمة:

1. لندال دافيدوف، مدخل علم النفس، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د ، ط، 1983م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Glueck and glueck delinquency in the making op., cit,p 88
2. cullen francis (1983) rehinking crime and deviance theory .the emerg a
M . lopez rey, crime, an structuring tradition . rowman and allanheld analytical appraisal, London, 1970, p.p.172-175-11
3. M . lopez rey, crime, an analytical appraisal, London, 1970, p.p.172-175-11
4. Adwin h. Sutherland and Donald r. cressy, principes de crimonologie, paris, cujas, 1966, p.130
5. MeriaM van Waters, (youth in conflict) N. Y.1925, p. 64

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

1. Http://seifpsy.maktoobblog.com/page/6
2. Http://yanbo3.com/forum/showthread.php?p=78217
3. httm://armpoli.montadarabi..com/t7387-topic